باب
مَرَض النَّبيّ ﷺ

قال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن عمر بن ربيعة، عن عُبَيْد مولى الحَكَم، عن عبدالله بن عَمْرو بن العاص، عن أبي مُوَيْهِبَة مولى رسول الله ﷺ قال: أنبهني رسولُ الله ﷺ من اللَّيل فقال: «يا أبا مُوَيْهِبَة إنّي قد أُمِرْتُ أنْ استغفرَ لأهلِ هذا البقيع». فخرجتُ معه حتى أتينا البقيعَ، فرفع يديه فاستغفر لهم طويلاً ثم قال: «لِيَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح النّاس فيه، أقْبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيل المُظْلم يتبع آخرُها أوّلَها، للآخرةُ شرٌّ من الأولى، يا أبا مُوَيْهِبَة إنّي قد أُعْطِيتُ مفاتيحَ خزائن الدُّنيا والخلد فيها، ثمّ الجنّة، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة». فقلت: يارسولَ الله، بأبي أنتَ وأمّي، فخُذْ مفاتيحَ خزائنِ الدُّنيا والخُلْد فيها، ثمّ الجنّة، فقال: «والله يا أبا مُوَيْهِبة لقد اخترتُ لقاءَ ربّي والجنّة». ثم انصرف، فلمّا أصبح ابتُدِىء بوَجَعِهِ الذي قبضه اللهُ فيه».

رواه إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، وعُبَيْد بن جُبَيْر مولى الحَكَم بن أبي العاص.

وقال مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُيِّرْتُ بين أنْ أبقى حتّى أرى ما يُفْتَح على أُمّتي وبين التعجيل، فاخترتُ التعجيل».

---

(١) ضبب عليه المؤلف.

وقال الشّعْبيّ، عن مسروق، عن عائشة، قالت: اجتمع نساءُ رسولِ الله ﷺ عند رسول الله ﷺ، لم تغادر منهنّ امرأةٌ، فجاءت فاطمة تمشي ما تُخطىء مشيتُها مشيةَ رسولِ الله ﷺ، فقال: «مرحباً بابنتي»، فأجْلَسَها عن يمينه أو شماله، فسارَّها بشيءٍ، فَبَكَتْ، ثم سارَّها فضحِكَت، فقلتُ لها: خصَّكِ رسولُ الله ﷺ بالسِّرار وتبكينَ! فلما أنْ قامَ قلتُ لها: أخبريني بما سارَّكِ؟ قالت: ما كنتُ لأفشي سِرَّهُ. فلمّا تُوُفِّي قلتُ لها: أسألك بما لي عليكِ من الحقِّ لما أخبرتيني. قالت: أمّا الآن فنَعَم، سارَّني فقال: «إنَّ جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآنِ في كلِّ سنةٍ مرَّةً، وإنّه عارضني العامَ مرَّتَيْن، ولا أرى ذلك إلّا لاقترابِ أجَلي، فاتَّقي الله واصبري فنِعْمَ السَّلَفُ أنا لكِ». فبكيتُ، ثمّ سارَّني فقال: «أما ترضينَ أن تكوني سيّدة نساءِ المؤمنين ـ أو سيّدةَ نساء هذه الأمة ـ» يعني فضحِكْتُ. مُتَّفقٌ عليه[1].

وروى نحوَه عُرْوة، عن عائشة، وفيه أنّها ضحِكَتْ لأنّه أخبرها أنّها أوّل أهلِه يتبعه. رواه مسلم[2].

وقال عبّاد بن العوّام، عن هلال بن خَبَّاب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر] دعا رسولُ الله ﷺ فاطمةَ فقال: «إنّه قد نُعِيَتْ إليَّ نفسي». فَبَكَتْ ثم ضحِكَتْ، قالت: «أخْبَرَني أنّه نُعِي إليه نفسُهُ، فبكَيتُ، فقال لي: «اصبِري فإنَّك أوّلَ أهلي لا حقاً بي»، فضَحِكْتُ.

وقال سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، قال: قالت عائشة: وارأساه. فقال رسولُ الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفِرُ لكِ وأدعو لكِ». فقالت: واثكلاه والله إنِّي لأظُنُّكَ تُحِبُّ

(١) البخاري ٥/ ٢٦، ومسلم ٦/ ١٤٣.
(٢) مسلم ٦/ ١٤٢.

موتي، ولو كان ذلك لَظَلِلْتَ آخرَ يومِك مُعَرِّساً ببعض أزواجك. فقال: «بل أنا وارأساه لقد هَمَمْتُ ـ أو أرَدْتُ ـ أنْ أُرْسِلَ إلى أبي بكر وابنِه فأعْهَدَ أنْ يقولَ القائلون أو يتمنَّى المتمنُّون، ثم قلتُ: يَأْبَى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويَأْبَى المؤمنون». رواه البخاري هكذا[1].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عُتْبَة، عن الزُّهْرِيّ، عن عُبَيْدالله، عن عائشة، قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وهو يُصدَّع وأنا أشتكي رأسي، فقلت: وارَأساه. فقال: «بل أنا والله وارأساه، وما عليكِ لو مُتِّ قبلي فَوَليتُ أمْرَكِ وصلَّيْتُ عليكِ ووَارَيْتُكِ». فقلت: والله إنّي لأحْسبُ أنْ لو كان ذلك، لقد خلوتَ ببعض نسائك في بيتي في آخر النّهار فأعرستَ بها. فضحِكَ رسولُ الله ﷺ، ثمّ تَمَادَى به وجَعُهُ، فاستُعِزَّ[2] برسول الله ﷺ وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة، فاجتمع إليه أهله، فقال العبّاس: إنّا لَنُرَى برسولِ الله ﷺ ذات الجَنْب فَهَلُمُّوا فَلْنَلُدَّه، فَلَدُّوه. وأفاق رسولُ الله ﷺ فقال: «مَنْ فعل هذا»؟ قالوا: عمُّك العباس، تَخَوَّف أن يكون بك ذات الجَنْب. فقال رسول الله ﷺ: إنّها من الشَّيطان، وما كان الله تعالى ليُسَلِّطَهُ عليَّ، لا يبقى في البيت أحدٌ إلاّ لَدَدْتُمُوه إلاّ عمّي العباس، فَلُدَّ أهلُ البيت كلّهم، حتّى ميمونة، وإنّها لَصَائمةٌ يومئذٍ، وذلك بعين رسول الله ﷺ، ثم استأذن نساءَه أن يُمَرَّضَ في بيتي، فخرج ﷺ إلى بيتي، وهو بين العبّاس وبين رجلٍ آخر، تخُطّ قدماه الأرضَ إلى بيت عائشة. قال عُبَيْدالله: فحدثت بهذا الحديث ابنَ عبّاس فقال: تدري مَنِ الرجلُ الآخر الذي لم تُسَمِّهِ عائشة؟ قلت: لا. قال: هو عليٌّ رضي الله عنه[3].

---

(١) البخاري ٧/ ١٥٥ و ٩/ ١٠٠.
(٢) كتب المصنف في هامش الأصل: «استعزَّ به: غُلِبَ».
(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٢.

وقال البخاري[1] : قال يونس، عن ابن شهاب، قال عُرْوَة: كانت عائشة تقول: كان النّبيُّ ﷺ يقول في مرضه الذي تُوُفِّي فيه: «يا عائشة لم أزل أجد ألم الأكْلَةِ التي أكلت بخَيْبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السُّمّ».

وقال اللَّيْث، عن عُقَيْل، عن ابن شهاب: أخبرني عُبَيْدالله بن عبدالله، أنّ عائشة قالت: لمّا ثَقُلَ النّبيُّ ﷺ واشتدّ به الوجع استأذن أزواجَه أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة، فأذِنَّ له، فخرج بين رجلين تخُطُّ رِجْلاه في الأرض، قالت: لمّا أُدْخِل بيتي اشتدّ وَجَعُهُ فقال: «أهْرِقْنَ عليَّ من سَبْعِ قربٍ لم تُحْلَلْ أوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أعْهَدُ إلى النّاس». فأجلسناه في مِخْضَبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طَفِقْنا نَصبُّ عليه، حتى طفِقَ يُشِير إلينا أنْ قد فعلتنَّ، فخرج إلى النّاس فصلّى بهم ثمّ خَطَبَهم. مُتَّفقٌ عليه[2] .

وقال سالم أبو النَّضْر، عن بُسْر بن سعيد وعُبَيْد بن حُنَيْن، عن أبي سعيد قال: خطب رسولُ الله ﷺ النّاسَ فقال: «إنَّ عبداً خَيَّرَه الله بين الدنيا وبين ما عندَ الله، فاختار ما عند الله». فبكى أبو بكر، فعجِبْنَا لبُكَائه، فكان المُخَيَّرُ رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر أعْلَمَنَا به، فقال: «لا تَبْكِ يا أبا بكر، إنّ أمَنَّ النّاس عَلَيَّ في صُحْبَتِه ومالِه أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتّخَذْتُهُ خليلاً، ولكن أُخُوَّةَ الإسلام ومَوَدَّته، لايبقى في المسجدِ بابٌ إلاّ سُدَّ إلاّ باب أبي بكر». مُتَّفقٌ عليه[3] .

وقال أبو عَوَانة، عن عبدالملك بن عُمَيْر، عن ابن أبي المُعَلَّى، عن أبيه أحدِ الأنصارِ، فذكر قريباً من حديث أبي سعيد الذي قبله.

---

(١) البخاري ٦/ ١٠-١١.
(٢) البخاري ١/ ٦١ و ٦/ ١٣-١٤ و ٧/ ١٦٥، ومسلم ٢/ ٢٠.
(٣) البخاري ١/ ١٢٦ و ٥/ ٤، ومسلم ٦/ ١٠٨.

وقال جرير بن حازم: سمعت يَعْلَى بن حَكِيم، عن عِكْرِمة، عن ابن عبّاس قال: خرج رسولُ الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسَه بخِرْقةٍ، فَصعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «إنّه ليس من النّاس أحدٌ أمَنَّ عليَّ بنفسه ومالِه من أبي بكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من النّاس خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنّ خِلَّةَ الإسلام أفضل، سُدُّوا عنّي كلَّ خَوْخةٍ في المسجد غير خَوْخَة أبي بكر». أخرجه البخاريّ[1].

وقال زيد بن أبي أُنَيْسَة، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن عبدالله بن الحارث: حدثني جُنْدَب أنّه سمع النبيَّ ﷺ قبل أن يُتَوَفَّى بخمس يقول: «قد كان لي منكم إخوةٌ وأصدقاء وإنِّي أبرأ إلى كلِّ خليلٍ من خِلَّتِه، ولو كنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، وإنَّ ربِّي اتّخذني خليلاً كما اتَّخذ إبراهيمَ خليلاً، وإنَّ قوماً ممّن كانوا قبلكم يتّخذون قبورَ أنبيائهم وصُلَحائهم مساجدَ، فلا تتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ، فإنّي أنْهاكم عن ذلك». رواه مسلم[2].

مؤمّل بن إسماعيل، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة، قالت: لما مرض رسولُ الله ﷺ مَرَضَه الذي قُبِض فيه أُغْمِي عليه، فلمّا أفاق قال: «ادْعِي لي أبا بكرٍ فلأكتُب له لايطمع طامعٌ في أمر أبي بكر ولا يتمنَّى مُتَمَنٍّ»، ثمّ قال: «يأبَى الله ذلك والمؤمنون» ـ ثلاثاً ـ قالت: فأبَى الله إلاّ أنْ يكون أبي.

قال أبو حاتم الرازي: حدثناه يَسَرَة بن صَفْوان، عن نافع، عن ابن أبي مُلَيْكَة مُرْسَلاً، وهو أشبه.

وقال عِكْرِمة، عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ خرج من مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسَه بعصابةٍ دَسْمَاءَ مُلْتَحِفاً بملْحَفَةٍ على مَنْكِبَيْه،

---

(١) البخاري ١/ ١٢٦.
(٢) مسلم ٢/ ٦٧.

فجلس على المنبر وأوصى بالأنصار، فكان آخر مجلسٍ جلسه. رواه البخاريّ[1]. ودَسْماء: سوداء.

وقال ابن عُيَيْنَة: سمعت سُلَيمان يذكر عن سعيد بن جُبَيْر، قال: قال ابن عبّاس: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بَلَّ دمعُهُ الحَصَى. قلت: يا أبا عبّاس: وما يوم الخميس؟ قال: اشتدَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُهُ فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تَضِلُّوا بعدَه أبداً». قال: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازُعٌ فقالوا: ما شأنُهُ، أهَجَر! استَفْهِمُوه، قال: فذهبوا يُعِيدون عليه، قال: «دَعُوني فالذي أنا فيه خيرٌ ممّا تَدْعُونَني إلَيه». قال: وأوصاهم عند موته بثلاثٍ فقال: أخْرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجِيزوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أُجِيزُهم، قال: وسكت عن الثالثة، أو قالها فنسِيتُها. مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال الزُّهْرِيّ، عن عُبَيْدالله بن عبدالله، عن ابن عبّاس، قال: لما حضر رسول الله ﷺ، وفي البيت رجالٌ فيهم عمر، فقال النّبيُّ ﷺ: «أكتُبُ لكم كتاباً لن تَضِلُّوا بعده أبداً». فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد غَلَبَ عليه الوَجَعُ وعندكم القرآن، حسْبُنا كتابُ الله. فاختلف أهلُ البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قَرِّبُوا يكتبْ لكم رسولُ الله ﷺ، ومنهم مَنْ يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللَّغْوَ والاختلافَ عند رسولِ الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «قُومُوا». فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرَّزِيَّة كلَّ الرَّزِيَّة ما حالَ بين رسولِ الله ﷺ وبين أنْ يكتبَ لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولَغَطِهم. مُتَّفقٌ عليه[3].

وإنّما أراد عمر رضي الله عنه التخفيفَ عن رسول الله ﷺ، حين رآهُ

---

(١) البخاري ٤/ ٢٢٦.
(٢) البخاري ٤/ ١٢٠ و ٦/ ١١، ومسلم ٥/ ٧٤.
(٣) البخاري ١/ ٣٩، ومسلم ٥/ ٧٥.

شديدَ الوَجَع، لِعِلْمه أنَّ الله قد أكمل دِينَنَا، ولو كان ذلك الكتاب واجباً لَكَتَبَه النّبي ﷺ لهم، ولَمَا أخَلَّ به.

وقال يونس، عن الزُّهْرِيّ، عن حمزة بن عبدالله، عن أبيه، قال: لمّا اشتدَّ برسولِ الله ﷺ وَجَعُهُ قال: «مُرُوا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنّاس». فقالت له عائشة: يا رسولَ الله إنّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يُسْمِع النّاسَ من البُكاء. فقال: «مُرُوا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنّاس». فَعَاوَدَتْهُ مثلَ مَقَالَتِها، فقال: «أنْتُنَّ صَوَاحباتُ يوسف، مُرُوا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالنّاس». أخرجه البخاري[1].

وقال محمد بن إسحاق، عن الزُّهرِيّ، عن عُبَيْدالله بن عبدالله، عن ابن عبّاس، عن أُمِّه أمِّ الفَضْل قالت: خرج إلينا رسول الله ﷺ وهو عاصِبٌ رأسَه في مَرَضِه، فصلَّى بنا المغربَ، فقرأ بالمُرْسَلاتِ، فما صلّى بعدَها حتّى لقيَ الله، يعني فما صلّى بعدها بالنّاس. وإسنادة حَسَن.

ورواه عُقَيْل، عن الزُّهْرِيّ، ولفظه أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالمُرْسَلات، ما صلّى لنا بعدها. البخاري[2].

وقال موسى بن أبي عائشة، عن عُبَيْدالله بن عبدالله، حدثَتْني عائشة، قالت: ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ فقال: «أصَلَّى النّاسُ»؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: «ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَب». ففعلنا، فاغتسل، ثمّ ذهب لِيَنُوءَ، فأُغْمِي عليه، ثمّ أفاق فقال: «أصَلَّى النّاس»؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: «ضعوا لي ماءً في المِخْضَب. قالت: ففعلنا، ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغْمِي عليه، ثمّ أفاق فقال: «أصَلَّى النّاسُ»؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك، والنّاس عُكُوفٌ في المسجد

(١) البخاري ١/ ١٨٢ و ٩/ ١٢٠.
(٢) البخاري ٦/ ١١.

ينتظرون رسولَ الله ﷺ لصلاة العِشاء. قالت: فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر يُصَلِّي بالنّاس، فأتاه الرسولُ بذلك، فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً: يا عمر صَلِّ بالنّاس. فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك منّي. قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ وجد من نفسه خِفَّةً، فخرج بين رجلين أحدُهما العبّاس لصلاة الظُّهْر، وأبو بكر يصلِّي بالنّاس، قالت: فلمّا رآه أبو بكر ذهب ليتأخّر، فأومأ إليه النبي ﷺ أنْ لا يتأخّر، وقال لهما: أجْلِساني إلى جَنْبِه، فأجلساه إلى جَنْب أبي بكر. فجعل أبو بكر يصلِّي وهو قائمٌ بصلاةِ رسولِ الله ﷺ، والنّاس يصلُّون بصلاةِ أبي بكر، والنّبيُّ ﷺ قاعدٌ. قال عُبَيْدالله: فعرضته على ابن عبّاس فما أنكر منه حَرْفاً. مُتَّفقٌ عليه[1].

وكذلك رواه الأسود بن يزيد، وعُرْوَة، أنَّ أبا بكر علَّق صلاته بصلاة النّبي ﷺ.

وكذلك روى الأرقم بن شُرَحْبِيل، عن ابن عبّاس. وكذلك روى غيرُهم.

وأمّا صلاتُهُ خَلْفَ أبي بكر فقال شُعْبة، عن نُعَيْم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، قالت: صلّى رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه خَلْف أبي بكر قاعداً.

وروى شُعْبَة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة أنّ النبي ﷺ صلّى خلف أبي بكر.

وروى هُشَيْم، ومحمد بن جعفر بن أبي كثير، واللَّفْظ لهُشَيْم، عن حُمَيْد، عن أنَس، أنّ النّبيَّ ﷺ خرج وأبو بكر يصلِّي بالناس، فجلس إلى جَنْبه وهو في بُرْدَةٍ قد خالف بين طَرَفَيْها، فصلَّى بصلاته.

---

(١) البخاري ١/ ١٧٥-١٧٦، ومسلم ٢/ ٢٠.

وروى سعيد بن أبي مريم، عن يحيى بن أيّوب، قال: حدثني حُمَيْد الطَّويل، عن ثابت، حدثه عن أنَس، أنّ النبي ﷺ صلّى خَلْف أبي بكر في ثوبٍ واحدٍ بُرْدٍ، مخالِفاً بين طَرَفَيْه، فلمّا أراد أن يقوم قال: «ادْعُوا لي أُسَامَة بن زيد»، فجاء، فأسند ظهره إلى نَحْرِه، فكانت آخرَ صلاةٍ صلاّها. وكذلك رواه سليمان بن بلال بزيادة ثابت البُنَاني فيه.

وفي هذا دلالة على أنّ هذه الصّلاة كانت الصُّبْح، فإنّها آخرُ صلاةٍ صلاّها، وهي التي دعا أُسَامَة عند فَرَاغِه منها، فأوصاه في مسيره بما ذكر أهلُ المغازي. وهذه الصّلاة غير تلك الصّلاة التي ائتمّ فيها أبو بكر به، وتلك كانت صلاة الظُّهْر من يوم السّبت أو يوم الأحد. وعلى هذا يُجْمَع بين الأحاديث، وقد استوفاها الحافظ الإمام الحَبْر أبو بكر البيهقي[1] رحمه الله.

وقال موسى بن عُقْبة: اشتكى النبي ﷺ في صفر، فَوَعِك أشدَّ الوَعْك؛ واجتمع إليه نساؤه يُمَرِّضْنَهُ أيّاماً، وهو في ذلك ينحاز إلى الصَّلَوات حتّى غُلِب، فجاءه المؤذِنّ فآذَنَه بالصّلاة، فنهض، فلم يستطع من الضَّعْف، فقال للمؤذِّن: «اذْهب إلى أبي بكر فَمُرْهُ فَلْيُصَلِّ». فقالت عائشة: إنّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، وإنّه إنْ قام مقامكَ بَكَى، فَأْمُرْ عمرَ فَلْيُصَلِّ بالنّاس. فقال: مُرُوا أبا بكر، فأعادتْ عليه، فقال: إنّكن صَوَاحب يوسف. فلم يزل أبو بكر يُصلِّي بالنّاس حتّى كان ليلة الاثنين من ربيع الأول، فأقلع عن رسولِ الله ﷺ الوَعكُ وأصبح مُفيقاً، فغدا إلى صلاة الصُّبْح يتوكّأ على الفضل وغلامٍ له يُدْعَى نُوبا ورسول الله ﷺ بينهما، وقد سجد النّاس مع أبي بكر من صلاة الصُّبْح، وهو قائم في الأخرى، فتخلّص رسولُ الله ﷺ الصُّفُوفَ يُفَرِّجُون له، حتّى قام إلى جَنْب أبي بكر فاستأخر أبو بكر، فأخذ رسولُ الله ﷺ بثوبه فقدَّمه في

(١) دلائل النبوة ٧/ ١٨٦ فما بعد.

مُصَلاّه فصفّا جميعاً، ورسول الله ﷺ جالسٌ، وأبو بكر قائمٌ يقرأ، فلمّا قضى قراءته قام رسول الله ﷺ فركع معه الرَّكْعَةَ الآخرة، ثم جلس أبو بكر يتشهَّدُ والنّاس معه، فلمّا سلَّمَ أتمَّ رسولُ الله ﷺ الرَّكْعَةَ الآخرة، ثم انصرف إلى جِذْعٍ من جُذُوع المسجد، والمسجد يومئذٍ سَقْفُهُ من جريدٍ وخوص، ليس على السَّقْف كبير طِينٍ، إذا كان المطرُ امتلأ المسجدُ طِيناً، إنّما هو كهيئة العريش، وكان أسامة قد تجهّز للغَزْوِ.

obeikandl.com

باب
حالُ النَّبيِّ ﷺ لمَّا احتضر

قال الزُّهْرِيّ: أخبرني عُبَيْدالله بن عبدالله، أنّ عائشة، وابنَ عبّاس قالا: لما نُزِل برسولِ الله ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»، يُحَذِّرُ ما صنعوا. مُتَّفقٌ عليه[1].

حدثنا أحمد بن إسحاق بمصر، قال: أخبرنا عمر بن كَرَم ببغداد، قال: أخبرنا عبدالأوّل بن عيسى، قال: أخبرنا عبدالوهاب بن أحمد الثَّقَفي من لفظه سنة سبعين وأربع مئة، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن محمد بن حسين السُّلَميّ إملاءً، قال: حدثنا أبو العّباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبدالجبّار العُطارِدِيّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن الأعمش، عن أبي سُفيان، عن جابر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل موته بثلاثٍ يقول: «أَحْسِنُوا الظَّنَّ بالله عزَّ وجلَّ». هذا حديث صحيح من العوالي.

وقال سليمان التَّيْمي، عن قَتَادة، عن أنَس، قال: كانت عامّة وصيّة النّبيِّ ﷺ حين حَضَرَهُ الموتُ: «الصّلاةَ وما مَلَكَتْ أيْمانُكُم»، حتّى جعل يُغرغرُ بها في صدره، وما يُفيض بها لسانُه. كذا قال سليمان.

وقال همّام: حدثنا قَتَادة، عن أبي الخليل، عن سفينة، عن أُمّ

(١) البخاري ١/١١٨-١١٩، ومسلم ٢/٦٧.

سَلَمَة، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه: «اللهَ اللهَ، الصلاة وما مَلَكَتْ أيْمانُكُم». قالت: فجعل يتكلَّمُ به وما يكاد يُفيض. وهذا أصحّ.

وقال اللَّيْثُ، عن يزيد بن الهاد، عن موسى بن سَرْجِس، عن القاسم، عن عائشة، قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يموتُ وعنده قَدَحٌ فيه ماء، يُدْخِل يدَه في القدح ثم يمسح وجْهَهُ بالماء، ثمّ يقول: «اللَّهُمَّ أعِنِّي على سَكْرَةِ الموت».

وقال سعد بن إبراهيم، عن عُرْوَة، عن عائشة، قالت: كنّا نتحدّث أنّ النبي ﷺ لا يموت حتّى يُخَيَّر بين الدُّنيا والآخرة، فلمّا مرِض عرضت له بُحَّةٌ، فسَمِعْتُهُ يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء] فَظَنَنّا أنّه كان يُخَيَّر. مُتَّفقٌ عليه(١).

وقال نحوَه الزُّهْرِيّ، عن ابن المسيِّب وغيره، عن عائشة. وفيه زيادة: قالت عائشة: كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلَّمَ بها النّبيُّ ﷺ «الرفيق الأعلى». البخاري(٢).

وقال مُبارَك بن فَضالة، عن ثابت، عن أنَس، قال: لمّا قالت فاطمةُ عليها السلام: «واكَرْباه» قال لها رسول الله ﷺ: «إنّه قد حضر من أبيك ما ليس بتاركٍ منه أحداً الموافاة يوم القيامة». وبعضهم يقول: مُبَارك، عن الحَسَن، ويُرْسِلُه.

وقال حمّاد بن زيد، عن ثابت، عن أنَس أنّ رسول الله ﷺ لما ثَقُلَ جعل يَتَغَشَّاه ـ يعني الكَرْبُ ـ فقالت فاطمة: «واكَرْبَ أبَتَاه»، فقال رسول الله ﷺ: «لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليوم». أخرجه البخاريّ(٣).

---

(١) البخاري ٦/ ٥٨، ومسلم ٧/ ١٣٧.
(٢) البخاري ٦/ ١٢و ٨/ ١٣٣، ومسلم ٧/ ١٣٧.
(٣) البخاري ٦/ ١٨.

بابُ وفاتِه ﷺ

قال أيّوب، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة، قالت: تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ في بيتي ويومي وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وكان جبريل يعوِّذُه بدُعاءٍ إذا مرِضَ، فذهبتُ أدعو به، فرفع بَصَرَه إلى السّماء وقال: «في الرَّفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى» ودخل عبدالرحمن بن أبي بكر وبيده جريدةٌ رطْبَة، فنظر إليها، فَظَنَنْتُ أنَّ له بها حاجة، فأخذتُها فنفضتُها ودفعتها إليه، فاسْتَنَّ بها أحسن ما كان مُسْتنّاً، ثم ذهب يُنَاوِلنِيها، فسقَطَتْ من يده، فجمع الله بين رِيقي ورِيقِه في آخر يومٍ من الدُّنْيا. رواه البخاريُّ هكذا[1].

لم يسمعه ابن أبي مُلَيْكَة، من عائشة، لأنَّ عيسى بن يونس قال: عن عمر ابن سعيد بن أبي حسين، قال: أخبرني ابن أبي مُلَيْكَة، أنْ ذَكْوَان مولى عائشة أخبره، أنّ عائشة كانت تقول: إنّ من نعمةِ الله عليَّ أنَّ النبيَّ ﷺ تُوُفِّي في بيتي، وفي يومي وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وأنّ الله جمع بين رِيقي ورِيقِه عند الموت، دخل عليَّ أخي بِسِوَاكٍ وأنا مُسْنِدَةٌ رسولَ الله ﷺ إلى صدري، فرأيتُهُ ينظر إليه، وقد عرفت أنّه يحبُّ السِّوَاكَ ويَأْلَفُهُ، فقلت: آخُذُهُ لكَ؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فلَيَّنْتُهُ له، فَأَمَرَّه على فِيْهِ، وبين يديه رَكْوَةٌ ـ أو عُلْبَةٌ ـ فيها ماء، فجعل يُدْخِل يده في الماء فيمسح وجهه، ثمّ يقول: «لا إله إلاّ الله، إنَّ للموت سَكَرَاتٍ»، ثمّ نصب إصبعه اليُسرى فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق

---

(١) البخاري ٦/ ١٦.

الأعلى» حتى قُبِض، ومالت يدُه. رواه البخاريّ[1].

وقال حمّاد بن زيد، عن ثابت، عن أنَس، قال: قالت فاطمة: لمّا مات النّبيُّ ﷺ وهي تبكي: يا أبتاه مِنْ ربِّهِ ما أدناه، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نَنْعاه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه. قال: وقالت: يا أنَس، كيف طابت أنفُسُكُم أنْ تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التُرابَ؟ البخاري[2].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: حدثني يحيى بن عَبَّاد، عن أبيه، عن عائشة، قالت: مات رسولُ الله ﷺ وهو بين سَحْرِي ونَحْري، في بيتي وفي يومي، لم أظْلم فيه أحداً، فمِنْ سفاهة رأيي وحَدَاثة سِنّي أنّ رسول الله ﷺ مات في حِجْري، فأخذتُ وسادةً فَوَسَّدْتُها رأسَهُ ووضعتُه من حِجْرِي، ثم قمتُ مع النّساءِ أبكي وألْتَدِم. الالتدام: اللَّطْم.

وقال مرحوم بن عبدالعزيز العّطار: حدثنا أبو عِمْران الجَوْني، عن يزيد بن بابَنُوس أنّه أتى عائشةَ، فقالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا مرّ بحُجْرتي ألقى إليّ الكلمةَ تَقَرُّ بها عيني، فمرَّ ولم يتكلَّمْ، فَعَصَبْتُ رأسي ونمْتُ على فراشي، فمرّ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما لَكِ»؟ قلت: رأسي، فقال: «بل أنا وارأساه، أنا الذي أشتكي رأسي». وذلك حين أخبره جبريلُ أنّه مَقْبوضٌ، فلبثت أيّاماً، ثمّ جيء به يُحمَل في كِساءٍ بين أربعةٍ، فأُدْخِلَ عليَّ، فقال: يا عائشة أرْسِلي إلى النِّسْوَة، فلمّا جئن قال: «إنّي لا استطيع أنْ أختلِف بينكنّ، فأْذَنَّ لي فأكونُ في بيتِ عائشة. قُلْنَ: نعم، فرأيته يَحْمَرُّ وجهُهُ ويَعْرَق، ولم أكن رأيتُ مَيِّتاً قطّ، فقال: «أقْعِدِيني»، فأسْنَدْتُهُ إليّ، ووضعتُ يدي عليه، فقلب رأسَه، فرفعت

---

(١) البخاري ٦/ ١٥-١٦.

(٢) البخاري ٦/ ١٨.

(٣) ابن هشام ٢/ ٦٥٥.

يدي، وظننتُ أنّه يريد أن يصيب من رأسي، فوقعتْ من فِيه نقطةٌ باردة على تَرْقُوَتي أو صَدْري، ثم مال فسقط على الفراش، فَسَجَّيْتُهُ بثَوبٍ، ولم أكن رأيتُ مَيِّتاً قطّ، فأعرفُ الموتَ بغيره، فجاء عمر يستأذن، ومعه المُغِيرة بن شُعبة، فأذِنْتُ لهما، ومَدَدْتُ الحجابَ، فقال عمر: يا عائشة ما لِنَبيِّ الله؟ قلت: غُشِي عليه منذ ساعة، فكشف عن وجهه فقال: واغَمّاه، إنّ هذا لَهُوَ الغَمُّ، ثمّ غطّاه، ولم يتكلّم المُغِيرة، فلمّا بلغ عَتبةَ البابِ، قال المُغِيرة: مات رسولُ الله ﷺ يا عمر، فقال: كَذَبْتَ، ما مات رسولُ الله، ولا يموتُ حتّى يأمرَ بقتالِ المنافقين، بل أنت تَحُوسُكَ[1] فِتْنَةٌ.

فجاء أبو بكر فقال: ما لِرَسولِ الله؟ قلت: غُشِي عليه، فكشف عن وجهه، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صِدْغَيْه ثم قال: وانَبِيَّاه واصفِيَّاه واخَلِيلاه، صدق الله ورسولُه ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، ثمّ غَطَّاهُ وخرجَ إلى النَّاس فقال: أيُّها النّاسُ، هل مع أحدٍ منكم عهدٌ من رسولِ الله ﷺ؟ قالوا: لا. قال: مَنْ كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت، ومَن كان يعبد محمّداً فإنَّ محمداً قد مات، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ والآيات.

فقال عمر: أفِي كتاب الله هذا يا أبا بكر؟ قال: نعم. قال عمر: هذا أبو بكر صاحبُ رسولِ الله ﷺ في الغار، وثانيَ اثنين فَبَايِعُوه، فحينئذٍ بايعوه.

رواه محمد بن أبي بكر المقدّمي عنه. ورواه أحمد في «مُسْنَدِه»[2]

---

(١) كتب المؤلف على هامش الأصل: «تخالط قلبك».

(٢) أحمد ٦/ ٢١٩-٢٢٠، وابن سعد في طبقاته ٢/ ٢٦١-٢٦٨.

بطُوله عن بهز بن أسد، عن حمّاد بن سَلَمَة، قال: أخبرنا أبو عِمران الجَوْني، فذكره بمعناه.

وقال عُقَيْل، عن الزُّهْرِي، عن أبي سَلَمَة، قال: أخبرتني عائشة أنّ أبا بكر أقبل على فَرَسٍ من مسكنه بالسُّنح حتى نزل، فدخل المسجدَ فلم يكلّم النّاسَ حتى دخل عليَّ، فتيمَّم[1] رسولَ الله ﷺ وهو مُغَشًّى ببُرْد حِبَرة، فكشف عن وجهه، ثمّ أكَبَّ عليه يُقَبِّلُهُ، ثمّ بكى، ثم قال: بأبي أنتَ وأُمّي يا رسول الله، والله لا يجمع اللهُ عليكَ مَوْتَتَيْن أبداً، أمّا المَوْتَةُ التي كُتِبَتْ عليك فقد مُتَّها.

وحدثني[2] أبو سَلَمَة، عن ابن عبّاس، أنّ أبا بكر خرج وعمر يكلّمُ النّاسَ فقال: اجلِسْ يا عمر، فأبَى، فقال: اجْلِس، فأبَى. فتَشَهَّد أبو بكر، فأقبل النّاسُ إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أمّا بعدُ، فَمَن كان منكم يعبد محمّداً فإنّه قد مات، ومَن كان يعبدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران] الآية، فكأنّ النّاسَ لم يَعْلَمُوا أنَّ الله أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقّاها منه النّاسُ كلُّهم، فما أسْمَعُ بَشَراً من النّاس إلاّ يَتْلُوها.

وأخبرني سعيد بن المسيِّب أنّ عمر قال: والله ما هو إلاّ أنْ سمعتُ أبا بكر تلاها فَفَرِقْتُ، أو قال: فَعقِرْتُ حتّى ما تُقِلُّني رِجْلاي، وحتّى أهْوَيْتُ إلى الأرض، وعرفتُ حين تلاها أنَّ رسولَ الله ﷺ قد مات. أخرجه البخاري[3].

وقال يزيد بن الهاد: أخبرني عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن

---

(١) أي: قَصَد.
(٢) أي: الزهري.
(٣) البخاري ٢/ ٩٠-٩١.

عائشة قالت: تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي[1]، فلا أكره شدّةَ الموت لأحدٍ أبداً، بعد ما رأيتُ من رسول الله ﷺ. حديث صحيح.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: كان أُسامة بن زيد قد تجهّز للغزو وخرج ثَقَله[2] إلى الجُرف فأقام تلك الأيام لِوَجَع النّبيِّ ﷺ، وكان قد أمَّره على جيشٍ عامَّتُهُم المهاجرون، وفيهم عمر، وأمره أن يُغِير على أهلِ مُؤتَة، وعلى جانب فلسطين، حيث أُصِيب أبوه زيد، فجلس رسولُ الله ﷺ إلى جِذْعٍ في المسجد، يعني صبيحةَ الإثنين، واجتمع المسلمون يسلِّمون عليه ويَدْعُون له بالعافية، فدعا أُسامة فقال: «اغْدُ على بَرَكَةِ الله والنّصر والعافية». قال: بأبي أنتَ يا رسولِ الله، قد أصبحتَ مُفِيقاً، وأرجو أنْ يكون الله قد شفاك، فأَذَنْ لي أنْ أمكثَ حتى يَشْفِيَكَ الله، فإنْ أنا خرجتُ على هذه الحال خرجتُ في قلبي قُرْحَةٌ من شأنك، وأكره أن اسأل عنك النّاسَ، فسكتَ رسولُ الله ﷺ فلم يُراجِعْه، وقام فدخل بيتَ عائشة، وهو يومها، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة، فقال: قد أصبح رسولُ الله ﷺ مُفِيقاً، وأرجو أن يكون الله قد شفاه، ثم ركب أبو بكر فلحِق بأهله بالسُّنح، وهنالك امرأته حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاريّ، وانقلبت كلّ امرأةٍ من نساء النّبيِّ ﷺ إلى بيتها، وذلك يوم الإثنين.

ولما استقرّ ﷺ ببيت عائشة وُعِك أشدَّ الوعْك، واجتمع إليه نساؤه، واشتدّ وَجَعُهُ، فلم يزل بذلك حتّى زاغت الشمسُ، وزعموا أنّه كان يُغْشَى عليه، ثمّ شَخَصَ بَصَرُه إلى السماء فيقول: «نعم في الرفيق الأعلى»، وذكر الحديث، إلى أنْ قال: فأرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حَفْصَةُ إلى عمر، وأرسَلَتْ فاطمةُ إلى عليٍّ، فلم يجتمعوا حتّى

---

(١) الحاقنة: الوهدة بين الترقوتين من الحَلْق، وتحت الذقن.

(٢) الثقل: المتاع أو الشيء النفيس الخطير.

تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ على صدرِ عائشة، وفي يومها يومِ الإثنين، وجَزِع النّاسُ، وظنّ عامَّتُهُم أنّه غير مَيِّت، منهم مَن يقول: كيف يكون شهيداً علينا ونحن شهداءُ على النّاس، فيموت، ولم يظهر على النّاس، ولكنّه رُفع كما فُعِل بعيسى بن مريم، فأوْعَدُوا مَنْ سمِعُوا يقول: إنّه قد مات، ونادوا على الباب «لا تدفنوه فإنّه حيٌّ». وقام عمرُ يخطبُ النّاسَ ويُوعِدُ بالقتْل والقطْع، ويقول: إنّه لم يَمُتْ وتَوَاعَدَ المنافقين، والنّاسُ قد ملأوا المسجدَ يبكون ويموجون، حتى أقبل أبو بكر من السُّنح.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن أبي مَعْشَر، عن محمد بن قيس، عن أمّ سَلَمَة قالت: وضعتُ يدي على صَدْرِ رسولِ الله ﷺ يوم مات، فمرّ بي جُمَعٌ آكُلُ وأتَوَضَّأُ، ما يذهب رِيحُ المِسْك من يدي.

وقال ابن عَوْن، عن إبراهيم بن يزيد ـ هو التَّيْميّ ـ عن الأسود، قال: قيل لعائشة: إنّهم يقولون إنّ النبي ﷺ أوصى إلى عليٍّ. وقد رأيته دعا بطَسْتٍ لِيَبُول فيها، وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صدْري، فانْحَنَتْ[1] فمات، ولم أشعر فِيمَ يقول هؤلاء إنّه أوصى إلى عليٍّ. مُتَّفقٌ عليه[2].

---

(١) أي: استرخى ومال أحد شِقَّيه.

(٢) البخاري ٤/ ٣ و ٦/ ١٨، ومسلم ٥/ ٧٥.